مجزرة الجزائر.. و«جزأرة» المجازر!

محمد عبيدي – الأمان

مضى النصف الأول من شهر رمضان المبارك سريعاً حثيثاً – كعادة الكرماء – إلا في الجزائر، فإنه يمضي بطيئاً.. مخيفاً كالمجازر! وتجثم أحداثه بكلكلها على جميع الجزائريين، ولا سيما أبناء المناطق الساخنة التي هي مسارح يومية للمجازر والأهوال، وتنتقل هذه الأهوال بأصدائها القاتمة الى كوابيس مرعبة للرأي العام في الداخل والخارج.

ومع تواتر وتعالي صيحات ردود الفعل الأوروبية والدولية عامة، مستنكرة ومطالبة بتحقيقات دولية أو أممية (نسبة للأمم المتحدة)، تتكشف حركة النزوح من غرب الجزائر باتجاه المدن على نحو لم تعهده هذه المنطقة (جبال الأوراس) من قبل بكثافتها ومأساويتها، ومزامنتها لشهر الصيام، فغالب النازحين هم من الفقراء المدقعين الذين بالكاد يكسبون قوت يومهم من أعمال الزراعة المحلية وتربية المواشي المنزلية، وبالتالي فإن النزوح الخالي من أية مساعدات حكومية أو انسانية (من الخارج) وفي مثل هذا الشتاء القارس وفي مناطق أغلبها ثلجية، لن يزيد الطين إلا بلة والمحنة إلا ايلاماً وحسرة! فغالبية هؤلاء البؤساء الذين فقدوا ذويهم أو أبيدت عائلاتهم في المجازر الرمضانية الأخيرة في منطقة غليزان يشعرون بالاحباط، وبأن الجميع تخلّى عنهم، ولا سيما الجهات الرسمية. والحق أن العديد من المراسلين الأجانب الذين زاروا مسرح الحوادث لاحظوا غياب أي نشاط عسكري أو اغاثي في هذه المنطقة، باستثناء حاجز يتيم للجيش في قرية عمي موسى، قبل الوصول الى الجبل الذي يزيد ارتفاع قممه المغطاة بالغابات على ألف متر.

واكتفت السلطات بتسليح بعض المواطنين الموالين لها في اطار «قوات الدفاع الذاتي»، وبررت تقاعسها عن حماية هؤلاء بصعوبة الحراسة الأمنية «لكل بيت في الجزائر» من الناحية المنطقية، في الوقت ذاته الذي تدّعي فيه القوى الأمنية أنها بصدد مطاردة الارهابيين منفذي المجازر، وتكثيف حملاتها الأمنية.

ويبدو أن فرق الموت التي تنفذ عملياتها الوحشية بكل ارتياح في ظل غياب الرادع والمدافع.. كسرت التحليل الذي يقول بتغيير تكتيكاتها الجغرافية وانتقال أعمالها من سهل متيجة و«مثلث الموت» الشهير في منطقة جنوبي غربي الجزائر العاصمة وضواحيها، بغية التخفيف من الحصار عليهم.. الى منطقة الغرب (حيث النشاط التقليدي للجيش الاسلامي للانقاذ قبيل اعلانه للهدنة)، إذ نفذت ليل الاثنين الماضي مجزرة جديدة في منطقة سيدي أحمد جنوب العاصمة، وعلى بعد أربعين كيلو متراً فقط منها، مخلفة زهاء المائة وعشرين ضحية، تضاف الى ضحايا الاجرام الهمجي الذي استفتح في الليلة الأولى من رمضان بحوالي الأربعمائة قتيل ونيف (في منطقة غليزان)، وتوسّع الرقم الى حوالي الألف ومئتين قتيل، أي بمعدل مائة ضحية يومياً طيلة النصف الأول من شهر رمضان.

«الترويكا» في الجزائر

من جهة مقابلة تمكنت المفوضية الأوروبية ممثلة بوزير الخارجية الالماني كلاوس كينكل من اقناع الحكومة الجزائرية بقبول زيارة وفد الترويكا الأوروبي (ممثلين عن بريطانيا والنمسا والليكسمبورغ) من أجل «التعاون حول مكافحة الارهاب»، وتقديم مساعدات انسانية. بيد أن جهات أوروبية رسمية طالبت بإجراء الترويكا لتحقيق ميداني حول المجازر، وطالبت في مناسبة ثانية بتوسيع الدائرة السياسية لتشمل الاسلاميين المعتدلين، مما أثار غضب الحكومة الجزائرية – من جديد – ومطالبتها بحصر نشاطات الترويكا بفحوى الرسالة التي بعثها كينكل، والرد (القاسي) على الحكومتين الايطالية والامريكية المطالبتين في وقت سابق بإجراء تحقيق دولي في المجازر.. علاوة على هذا فإن الحكومة الجزائرية يثيرها – الى النخاع – موضوع اشراك الاسلاميين المعتدلين، أي الجبهة الاسلامية للانقاذ في سبيل حل الأزمات السياسية والأمنية، رغم مبادرة الجبهة الى وقف العنف منذ أوائل أيلول الماضي، ومطالبتها المتكررة بكسر حاجز الغبن الذي لا يزال يلحقها ومناضليها من خلال المصير المجهول للسجين علي بلحاج، ووضع عباس مدني في الاقامة الجبرية وتنكب الجيش عن اتفاقاته مع الجناح العسكري للجبهة (بموجب اتفاق الهدنة المبرم بينهما). ويصر الرئيس زروال في هذا المضمار على اغلاق ملف الحزب المحظور (يقصد الجبهة) نهائياً ومن دون رجعة.

من جهتها تحاول المفوضية الأوروبية أن يكون لوفد الترويكا المبعوث الى الجزائر دور استقصائي بحتي، ولكن من دون اثارة استياء الرسميين الجزائريين لجهة التلويح «بتحقيق دولي» أو ما شابهه من أمور مريبة تنتقص من السيادة